

## التداولية والحجاج في الخطاب الأصولي - رسالة الإمام الشافعي أنموذجاً -

pragmatics and Argumentation in the Usuli (the discourse of  
Islamic legal theory) Discourse: Al Shafi i s Epistle

بلفاسم عربيي<sup>1</sup> رضا زلاقي<sup>2</sup>

<sup>1</sup> جامعة محمد بوقرة، بومرداس، الجزائر b.aribi@univ-boumerdes.dz

<sup>2</sup> جامعة محمد بوقرة، بومرداس، الجزائر r.zellagui@univ-boumerdes.dz

تاريخ الإرسال: 2025/05/27 تاريخ القبول: 2025/06/17 تاريخ النشر: 2025/06/30

### الملخص:

يتناول هذا البحث مفهوم "اللسانيات التداولية" وأبعاده التطبيقية في "الخطاب الأصولي"، متخذاً من الإمام الشافعي ونصه التأسيسي "الرسالة" نموذجاً تحليلياً.

ويسعى إلى الكشف عن الأنساق الحجاجية التي وظفها الشافعي في بناء خطابه الأصولي، من خلال أدوات اللسانيات التداولية، مثل نظرية الأفعال الكلامية، والحجاج التداولي، وسياقات الخطاب.

كما يسلط البحث الضوء على التفاعل بين البنية اللغوية والمقاصد الاستدلالية التي تهدف إلى الإقناع ضمن السياق الشرعي.

ومن خلال تحليل شواهد مختارة من "الرسالة"، يبرز البحث كيف أسس الشافعي منهجاً استدلالياً يتجاوز البعد النحوي والبلاغي إلى بعد تداولي ذي عمق استراتيجي في الحجاج.

الكلمات المفتاحية: التداولية؛ الخطاب الأصولي؛ الشافعي، الرسالة.

## Abstract:

This study explores the concept of "pragmatics" and Its analytical dimensions within "Usuli discourse", using Imam Al-Shafi'I and his foundational text "Al-Risalah" as a case study.

It aims to reveal the argumentative structures embedded in Al-Shafi'I's Usuli rhetoric through the lens of pragmatic tools such as speech act theory, pragmatic argumentation, and discourse context.

The research highlights the interaction between linguistic form and inferential intent, focusing on persuasive strategies within the Islamic legal context.

By analyzing selected excerpts from "Al-Risalah", the study demonstrates how Al-Shafi'I developed a reasoning method that transcends grammatical and rhetorical levels into a deeply strategic pragmatic argumentation.

**Keywords: The speech, Usuli discourse, Al-Shafi'I, Al-Risalah.**

## مقدمة:

شهدت الدراسات اللغوية الحديثة تحولاً كبيراً في النظرة الى اللغة، فلم تعد تُفهم بوصفها مجرد نسق شكلي أو أداة لنقل المعاني، بل أصبحت تُقارب باعتبارها فعلاً تواصلياً يتم في سياقات مخصوصة، ويُنتج أثراً معرفية وسلوكية لدي المتلقي، ومن هذا المنظور نشأت " اللسانيات التداولية"، التي تهتم بكشف العلاقة بين اللغة وسياقها، وبين الملفوظ ومقاصده، وبين المتكلم والمتلقي وشروط التفاهم بينهما.

وفي المقابل يتميز " الخطاب الأصولي " الإسلامي بكونه خطاباً معرفياً يستبطن آليات دقيقة في بناء المعنى، ويتوسل بالحجاج والاستدلال والاستنباط لإثبات الأحكام، مما يجعله حقلاً خصباً لتحليل الأبعاد التداولية الكامنة فيه.

ويبرز "الإمام الشافعي" كأحد أبرز أعلام هذا الخطاب، خاصة في كتابه "الرسالة"، الذي يُعد أول تأصيل نظري لمنهجية الاستدلال في علم أصول الفقه، حيث يوظف فيه اللغة والحجاج والبيان بأساليب دقيقة تُظهر وعياً تداولياً لافتاً.

ومن هنا تنبع أهمية هذا البحث، الذي يسعى إلى تحليل الخطاب الأصولي في ضوء اللسانيات التداولية، متخذاً من نصوص الشافعي في "الرسالة" نموذجاً للتطبيق، بهدف الكشف عن الأبعاد التداولية في هذا النص التأسيسي، وبيان كيف تتجلى فيه مفاهيم مثل: المقصدية، الأفعال الكلامية، الاستلزام الحواري، والإقناع الحجاجي.

## أسباب اختيار الموضوع:

### 1. الراهنية العلمية:

تأتي أهمية هذا الموضوع من تزايد الاهتمام المعاصر بدمج المناهج اللغوية الحديثة، وعلى رأسها اللسانيات التداولية، في تحليل الخطابات التراثية، ومنها الخطاب الأصولي، فهذا التكامل بين الحقول يفتح آفاقاً جديدة لفهم الخطاب من منظور مختلف وأكثر عمقاً.

### 2. ثراء المادة المدروسة:

يُعد كتاب "الرسالة" للإمام الشافعي من أهم النصوص التأسيسية في علم أصول الفقه، وهو غني بالاستدلالات الحجاجية والتوجيهات البيانية التي تُعد مادة مناسبة لتطبيق المفاهيم التداولية وتحليل الاستراتيجيات الحجاجية داخله.

### 3. قلة الدراسات التداولية حول الخطاب الأصولي:

على الرغم من الاهتمام الواسع باللسانيات التداولية في الدراسات الغربية والعربية الحديثة، إلا أن تطبيقها على الخطاب الأصولي، وخاصة خطاب الإمام الشافعي، ما يزال محدوداً ويحتاج إلى مزيد من البحث والتطوير.

#### 4. أهمية تجديد النظر في الخطاب التراثي:

إن التحليل النصوص التراثية بمنهج تداولي لا يعني تجاوزاً للمضامين العقدية أو الفقهية، بل يعزز من فهمها ويكشف عن قدرتها على بناء المعنى وتوجيه المتلقي وفق استراتيجيات لغوية رفيعة.

#### 5. الرغبة الذاتية والعلمية:

يأتي اختيار هذا الموضوع أيضاً بدافع من الرغبة الشخصية في الجمع بين الحقول المعرفية: اللسانية، الأصولية، والتحليل النصي، من أجل إنتاج قراءة علمية جديدة تُسهم في إغناء الحقل الأكاديمي.

#### أهداف البحث:

يسعى هذا البحث الى تحقيق جملة من الأهداف العلمية والمنهجية، يمكن تخليصها فيما يلي:

1. تبيين المفاهيم التداولية ضمن الحقل الأصولي، وذلك من خلال توظيف أدوات اللسانيات التداولية في تحليل خطاب أصول الفقه، وخاصة خطاب الإمام الشافعي.

2. تحليل البنية الحجاجية في " الرسالة"، باستخدام مقولات التداولية مثل الأفعال الكلامية، المقصدية، تنظيم الحوار، وأخلاقيات التخاطب، من أجل الكشف عن الكيفية التي يُبنى بها الإقناع في الخطاب الأصولي.

3. الكشف عن أبعاد التفاعل التخاطبي بين الشافعي والمتلقي المفترض لنصه، وتحليل كيفية توجيه الخطاب والإقناع به ضمن سياقات جدلية ومعرفية مخصوصة.

4. الربط بين النظريات اللسانية الحديثة والتراث الإسلامي، لإبراز إمكانية التكامل بين المناهج المعاصرة والقراءات التراثية، بما يسهم في تجديد قراءة النصوص الأصيلة وتحقيقها في سياقات جديدة.

5. الإسهام في تطوير مناهج تحليل الخطاب الديني من خلال تقديم نموذج تطبيقي لتحليل النصوص الأصولية بمنهج تداولي حديث، يسهم في بناء وعي لغوي نقدي لدى الباحث في العلوم الشرعية واللسانية.

### الإشكالية والمنهج:

#### إشكالية البحث:

ينطلق هذا البحث من إشكالية محورية تتعلق بإمكانية تحليل الخطاب الأصولي في ضوء اللسانيات التداولية، والسؤال الرئيسي الذي يحاول هذا العمل معالجته هو:

إلى أي حد يمكن لمفاهيم اللسانيات التداولية أن تكشف عن آليات الحجاج ومقاصد التخاطب في نصوص الإمام الشافعي، وتحديدًا في كتابه: " الرسالة "؟

وينبثق عن هذا السؤال الرئيسي عدة تساؤلات فرعية، من أبرزها:

- كيف تتجلى الأفعال الكلامية والمقاصد التخاطبية في خطاب الشافعي؟
- ما هي الاستراتيجيات الحجاجية التي يوظفها الشافعي لتوجيه خطابه وإقناع متلقيه؟
- هل يمكن اعتبار الخطاب الأصولي خطاباً تداولياً من حيث بنيته وآلياته التواصلية؟

#### المنهج المتبع:

يعتمد البحث منهجاً تحليلياً تداولياً، ينطلق من المفاهيم الأساسية في اللسانية التداولية لتحليل مقاطع مختارة من " الرسالة "، مع استحضار السياق الثقافي والمعرفي للنص ويقوم على:

1. المنهج الوصفي التحليلي: لرصد المقولات التداولية في خطاب الشافعي وشرحها داخل السياق النصي.

2. المنهج الاستقرائي: لاستخلاص الأنماط والأساليب التداولية من خلال تحليل الأمثلة.

3. المنهج المقارن عند الحاجة: لمقارنة بعض جوانب خطاب الشافعي بما ورد في النظرية التداولية من مقولات ونماذج.

### الحجاج في اللسانيات التداولية:

#### 1. مدخل عام إلى الحجاج:

الحجاج هو نشاط عقلي لغوي يهدف إلى التأثير في المتلقي، سواء بالإقناع أو الدفع إلى اتخاذ موقف معين، وقد حظى الحجاج بعناية كبيرة في التراث البلاغي والمنطقي، إلا أن اللسانيات التداولية قدمت له مقاربة جديدة، تربطه بالفعل التواصلية وسياقه، باعتباره أحد الأبعاد الأساسية في بناء المعنى داخل الخطاب.

وموضوع الحجاج كما يحدده بيرلمان وتيتيكا "درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم" <sup>1</sup>

والحجاج "فعالية تداولية جدلية، فهو تداولي لأن طابعه الفكري مقامي واجتماعي، إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة ومطالب إخبارية وتوجيهات ظرفية، ويهدف إلى إنشاء معرفة علمية إنشاءً موجهاً بقدر الحاجة، وهو أيضاً جدلي، لأن هدفه إقناعي قائم على التزام صور استدلالية أوسع وأغنى من البنيات البرهانية الضيقة" <sup>2</sup>

#### 2. التداولية والحجاج: الارتباط المفهومي:

تنظر التداولية إلى اللغة على أنها ممارسة اجتماعية، وأن كل ملفوظ يتمضمّن "نية" المتكلم، ويُنتج في "سياق" تواصلية محدد، من هذا المنطق، يصبح جزءاً من التخاطب، إذ لا يقتصر على الحاجة الصريحة، بل يشمل أيضاً كل تقنيات التأثير التي يمارسها المتكلم عبر اللغة. فحسب نظريته ديكر الحجاجية "فإن المتكلم يوجه خطابه بطريقة ما تمكنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية، انطلاقاً من الفكرة الشائعة التي مؤداها: أننا نتكلم عامة بقصد التأثير" <sup>3</sup>

فكما يقول " ديكرو "، فإن كل خطاب هو بطبيعته حجاجي لأنه يُفترض فيه متلقياً ينبغي التأثير فيه، سواء عبر الحجة، أو تنظيم الأقوال، أو اختيار الألفاظ والضمائر.

### 3. المفاهيم الأساسية المرتبطة بالحجاج التداولي:

● **الأفعال الكلامية:** وهي ما يقوم به المتكلم من أفعال عبر اللغة ( مثل الأمر، الإخبار، التسويغ ... )، تحليل هذه الأفعال يساعد على فهم نية المتكلم وتوجيه الخطاب.

" يمكن تعريف الفعل الكلامي بأنه: الفعل المنشأ عن طريق القول المتضمن قوة إنجازية من قبل متكلم يتمتع بصلاحيات معينة " <sup>4</sup>

● **المقصدية:** وحجاجيتها تقوم "على الرغبة في إثبات صحة الموقف الذي يتبناه المتكلم وفي الآن ذاته دحض الموقف المخالف ونسفه أو تصحيحه... غايته أنه يلح على رغبة المتكلم في استدراج المخاطب إلى الاقتناع برأيه... " <sup>5</sup> والمقصدية هي نية المتكلم من وراء الملفوظ، وتشكل جوهر التحليل التداولي لأي حجة.

● **السياق:** ويقصد به " الجو العام الذي يحيط بالكلمة وما يكتنفها من قرائن وعلامات " <sup>6</sup> لا يُفهم الحجاج بمعزل عن السياق الثقافي والاجتماعي والمعرفي، بل تتحدد قيمته وقوته داخله.

● **الاستلزام الحوارية:** ويكون عندما " ينتقل الخطاب من وجهة الإفادة الصريحة أو المباشرة إلى الضمنية أو غير المباشرة... وكأن التخاطب الناجع يقتضي اعتقاد المتلفظ الثابت أن المستمع يقاسمه مجموعة من الاستلزمات الحوارية " <sup>7</sup>

والاستلزام الحوارية يشير إلى تعدد الأصوات داخل الخطاب، وهي خاصية تظهر بوضوح في الخطاب الأصولي حيث يرد الشافعي على اعتراضات ويؤسس حججه بحضور افتراضي للخصوم.

● **استراتيجيات الإقناع:** تشمل الوسائل البلاغية واللغوية التي يعتمد عليها المتكلم للتأثير، مثل التكرار والتفسير والتأكيد والاستفهام الاستنكاري والمقارنة وغيرها. " وتستعمل استراتيجية الإقناع من أجل تحقيق أهداف المرسل النفعية؛ بالرغم من تفاوتها تبعاً لتفاوت مجالات الخطاب أو حقوله " <sup>8</sup>

#### 4. ( الحجاج بين التداولية والبلاغة القديمة ):

مع أن التراث العربي والإسلامي عرف الحجاج ضمن البلاغة والمنطق، فإن التداولية تقدم له أدوات جديدة لفهمه داخل نسق التخاطب الحي، لا كآلية صورية فحسب، بل كبنية لغوية تفاعلية، ويُعد هذا اللقاء بين التداولية والحجاج مدخلاً فعلياً لتحليل الخطابات ذات الطابع المعرفي - كأصول الفقه - بما يسمح برصد طرائق بناء البرهان وسبل التأثير في القارئ/المتلقي.

" والحجاج لا يتم إلا إذا استند إلى منهجية أساسها بناء النتائج وفق مقدمات ومسلمات حاكمة معروفة عند الطرفين، وإلا كان هناك تكليف للمخاطب بما لا علم له به، أو ما لا يطيقه"<sup>9</sup>

#### تحليل نصوص الشافعي مقارنة حجاجة تداولية موسعة:

##### 1. مدخل إلى النص ومنهجيته:

يُعد كتاب الرسالة للإمام الشافعي من أبرز المؤلفات في تأسيس علم أصول الفقه، ويتميز بطابع برهاني حجاجة عميق، فهو ليس مجرد عرض لأحكام شرعية أو قواعد أصولية، بل خطاب علمي متكامل موجه إلى جمهور من العلماء والمخالفين والطلاب، يقوم على عرض الرأي وتبريره، ثم الرد على الاعتراضات وتفنيدها، بما يعكس بنية تداولية غنية.

التحليل التداولي للنصوص يفترض النظر إلى الخطاب بوصفه فعلاً تواصلياً اجتماعياً، يتضمن عناصر المقام، والقصدية، والاستلزام الحوارية، والإقناع، وحضور المخاطب، وهذا ما يبرزه الشافعي بوضوح في خطابه، حيث تُبنى الحجج ضمن تفاعل ضمني أو صريح مع المخالف.

##### 2. البناء التداولي لخطاب الشافعي:

##### أولاً: بناء الخطاب وتوجيهه نحو المتلقي:

يؤسس الشافعي خطابه على أساس جدلي، ويُشرك المتلقي من خلال استحضاره صوت المعارض المفترض، ثم الرد عليه؛ هذا الحضور يُعرف في التداولية بنظرية الحوارية أو الضمير الحوارية (الاستلزام الحوارية)

مثال:

" فإن قال قائل: فدلنا على الفرق بين ما وصفت من بيان رسول الله عن الله، وبين ما كان منه سنّه ابتدئها .." <sup>10</sup>

يظهر هنا صوت المعترض، ويتعامل مع الشافعي كجزء من البنية الخطابية، مما يمنح خطابه طابعاً حوارياً تداولياً، ويؤسس لتدرج منطقي في بناء الحجة.

هذا التداخل بين الأصوات يخلق جدلية خطابية، حيث لا يُساق الرأي بشكل مطلق، بل في سياق مواجهة محتملة مع خطاب مضاد.

ثانياً: التدرج الحجاجي والاستدلال العقلي:

من أبرز مظاهر الحجاج في خطاب الشافعي اعتماده على التسلسل المنطقي في الاستدلال، من خلال بناء المقدمات للوصول إلى نتائج ملزمة، ما يتطابق مع بنية الحجاج عند بيرلمان وتيتيكا.

نص من الرسالة:

"فدلّ كتاب الله على أن الفرض من الصلاة ركعتان، فزاد رسول الله في كل صلاة ركعتين، فكان على من أقرّ بفرض الله أن يُقرّ سنة رسوله." <sup>11</sup>

نلاحظ في هذا السياق:

- ترابط منطقي سببي: " فدل ... فزاد .. فكان " .
- انتقال من النص إلى الإستنباط: من كتاب الله إلى حكم الشريعة مروراً بالسنة النبوية.
- التزام حجاجي: استخدام أداة " كان على .. " يفرض نتيجة على المتلقي.

### ثالثاً: استراتيجيات التأكيد والإلزام:

الشافعي لا يكتفي بطرح رأيه، بل يستخدم أدوات لغوية ذات سلطة خطابية تُلزم المتلقي بقبول الحجة:

- " وجب "، " لا يسع "، " أجمعوا "، " دل "، " ثبت " .

هذه الأفعال تُفعل قوة لغوية تُرغم القارئ على الإذعان لحقيقة مقدمة.

كما يستعمل أحياناً أسلوب التضمين القيمي، بحيث يُشعر القارئ أن رفض الحجة يُعد خروجاً عن الإجماع أو عن مقتضى العقل.

### رابعاً: آليات التفنيد والنقض:

يستعرض الشافعي آراء مخالفيه، ثم يُفندها باستدلالات دقيقة، غالباً باستخدام الاستدلال بالخلف:

" فلو كان كما قال، كان ما وصفنا باطلاً، وقد ثبت بطلان قوله ... "12

- يُقوّض رأي المخالف بإثبات أن نتائجه تؤدي إلى بطلان المقدمات السابقة، وهو ما يُبطل الحجة.

### خامساً: التمثيل والاستشهاد والمقارنة:

يستخدم الشافعي أدوات البلاغة الحجاجية لتقريب الفهم، مثل الأمثلة من الواقع والقياس والتمثيل:

" كما أن الله افترض الصلوات والزكاة ولم يبين عدد ركعاتها .. فكذلك السنة جاءت تفصيلاً لها .. "13

● هذا الاستخدام يُعزز من قوة الحجة عبر الربط بين المعلوم والمجهول، وهو ما تسميه التداولية بحجة التمثيل المقنع.

### سادساً: حضور السياق والمقام:

نصوص الشافعي متشعبة بالمقام، إذ تختلف حججه بحسب الطرف المفترض الذي يُخاطبه، وهو ما يُعرف في التداولية بتوجيه الخطاب بحسب المقام:

● يورد اعتراضات المتكلمين، والمعتزلة، وأهل الرأي، ويتعامل معها بأساليب حجاجية تختلف باختلاف الجهة.

### سابعاً: مفاهيم تداولية صريحة:

في عدد من المواضع، يستخدم الشافعي ألفاظاً تدل على وعيه بالعملية الخطابية ذاتها:

● "أحتج"، "أبين"، "أعرف"، "أوضح"، "أدل"، "أستدل"، "أقرّر".

وهذه مؤشرات تداولية تشير الى وعي الكاتب بوظيفته الحجاجية داخل النص.

### شواهد تطبيقية للإمام الشافعي:

#### 1. شاهد 1:

قال الشافعي: "ولا يُحتج بقول أحدٍ دون رسول الله، فإن الله تعالى جعل سنته حجةً على خلقه"<sup>14</sup>

### التحليل التداولي:

يوظف الشافعي هنا حجة السلطة العليا التي تعزز حُجَّتَه بإرجاعها إلى مصدر لا يُنازع: النص النبوي، وهذا ما يعكس وعياً تداولياً بسلطة الخطاب ومقام المخاطب.

## 2. شاهد 2:

يقول: "فإذا ثبت الخبر عن رسول الله لم يكن لأحد أن يتركه لقول أحدٍ من الناس"<sup>15</sup>

### التحليل التداولي:

هذا المثال يظهر التضمن الحجاجي، حيث يقدم الشافعي ضمناً أن من يخالف الخبر الثابت مخالف للهدي الإلهي، وهو ما يقوّي الحجة دون تصريح مباشر.

## 3. شاهد 3:

قال: "وقد يحتمل الخبر معينين، فيُنظر الى ما دل عليه أصل الكتاب أو السنة أو الإجماع"<sup>16</sup>

### التحليل التداولي:

يُجسد الشافعي مبدأ توجيه التأويل السياقي، وهو ما يعادل في التداولية المعاصرة "القرائن المقامية" التي تضبط المعنى في ضوء السياق.

## 4. شاهد 4:

يقول في موضع آخر: "ولا يؤخذ بقول أحدٍ دون الكتاب والسنة، وإنما يُنظر في اجتهاده هل وافق النص؟"<sup>17</sup>

### التحليل التداولي:

تأكيده على الموافقة للنص يُمثل آلية التبرير التداولي، حيث يجعل كل خطاب فقهي خاضعاً لشرط النص، وهو ما يرسّخ معيار الحجّية التداولية.

### نتائج التحليل:

تكشف القراءة التداولية لكتاب الرسالة عن عدة خصائص في الخطاب الأصولي عند الإمام

الشافعي:

- خطاب قائم على الحجاج والتعليل، لا النقل فقط.
  - بنية جدلية حوارية، تفترض قارئاً محاوراً.
  - اعتماد مكثف على السياق والمقام في بناء الحجة.
  - استعمال استراتيجيات تداولية فعالة: الإقناع، التمثيل، الإلزام، التنفيذ، الاستشهاد.
- يُمكن القول إن الشافعي قد مارس ما تسميه التداولية بالخطاب الموجه نحو الإقناع المتخصص، فهو لا يخاطب العامة، بل أهل الفقه والرأي، مما يجعل نصوصه مادة نموذجية لتحليل التداولي الحجاجي.

### مناقشة النتائج ومقارنتها:

#### 1. الملاحظة المستخلصة من تحليل خطاب الشافعي:

من خلال التحليل التداولي والحجاجي لخطاب الإمام الشافعي في الرسالة، يمكننا استخلاص عدد من النتائج التي تشكل سمات مميزة للخطاب الأصولي الكلاسيكي:

#### • أولاً: مركزية الحجاج في بنية الخطاب:

الخطاب الأصولي عند الشافعي لا يقوم على النقل المجرد أو التسليم بالمأثور فحسب، بل يعتمد على منظومة عقلانية حجاجية متماسكة، تسعى إلى إقناع القارئ، وتنفيذ الاعتراضات المحتملة، مستعملة أدوات تداولية دقيقة.

#### • ثانياً: جدلية الخطاب الأصولي:

الخطاب موجه إلى "آخر" مفترض، حاضر ضمناً أو صريحاً في النص، هذا الحضور يخلق دينامية حوارية تدفع الكاتب إلى تبرير رأيه، والرد على خصومه، وتقديم الأدلة بشكل استباقي.

• ثالثاً: التكيف المقامي للخطاب:

يتسم الخطاب بمرونة عالية، حيث يراعي الإمام الشافعي الخلفية المعرفية للمخاطب (مخالف، طالب علم، فقيه)، ويكيف أدواته الحجاجية وفقاً لهذا المقام مما يعكس وعياً تداولياً متقدماً.

• رابعاً: حضور أدوات الحجاج التداولي المعاصر:

يظهر في النص استعمال لافت لمفاهيم تنتمي إلى النظرية الحديثة في الحجاج، مثل:

1. الاستدلال بالخلف.

2. حجة الإجماع.

3. الإلتزام الحجاجي.

4. التضمنين القيمي.

5. علامات الحجاج والتأطير التداولي.

2. المقارنة مع الخطاب الأصولي المعاصر:

عند مقارنة خطاب الشافعي بخطابات أصولية أخرى في العصر الكلاسيكي أو حتى الحديث، يمكن تسجيل الملاحظات الآتية:

• من حيث بنية الخطاب:

يميل خطاب الشافعي إلى التحليل المنطقي التدريجي، في حين أن بعض الأصوليين المتأخرين يعتمدون أحياناً على النقل المجرد أو المصطلحات المغلقة، مما يُضعف عنصر الإقناع التداولي.

● من حيث استحضر الآخر:

يتسم خطاب الشافعي بحيوية حوارية، بينما تفقد بعض الخطابات المتأخرة هذا الجانب ، فتتحول إلى خطاب وصفي أكثر من كونه جدلياً.

● من حيث المقاربة العقلية:

يقدم الشافعي نموذجاً لمزاوجة النقل والعقل، مما يجعله رائداً في تأسيس خطاب أصولي عقلائي، أما بعض الاتجاهات اللاحقة، فقد غلب عليها إما النقل الصرف أو الجدل الفلسفي المجرد.

3. الخلاصة النقدية:

إن تحليل الحجاج في خطاب الشافعي من منظور اللسانيات التداولية يكشف أن:

- الخطاب الأصولي في جذوره يتمتع بخصائص تواصلية، عقلانية، وتفاعلية.
- الإمام الشافعي يُعد من أوائل من وظّف الأدوات التداولية دون وعي نظري بمصطلحاتها الحديثة في بناء خطابه.
- الخطاب الأصولي المعاصر بحاجة إلى إعادة تفعيل هذه الآليات التداولية لتجديد أساليبه وتعزيز فاعليته الإقناعية.

الخاتمة:

سعى هذا البحث إلى مقارنة الخطاب الأصولي من منظور اللسانيات التداولية، متخذاً من الإمام الشافعي ونصه التأسيسي الرسالة نموذجاً تطبيقياً لتحليل الحجاج في التراث الإسلامي.

وقد برهنت الدراسة على أن الخطاب الأصولي في صيغته الشافعية يتميز ببنية حجائية متماسكة، تُراعي السياقات المقامية، وتُوظف آليات تداولية تتجاوز التصورات الكلاسيكية للنص الديني بوصفه خطاباً ثابتاً.

وقد أظهر التحليل أن الشافعي لا يقدم مجرد سرد فقهي، بل يمارس فعلاً تداولياً مركباً، يستثمر فيه اللغة لإقناع وتأسيس السلطة العلمية، وتحقيق الوظيفة الحجاجية ضمن نسق شرعي ومنطقي صارم.

كما بينت المقارنة مع المبادئ التداولية الغربية أن الخطاب الأصولي يحتوي على آليات حجاجية متقاربة، وإن اختلفت منطلقاته المعرفية و المنهجية.

### أبرز نتائج البحث:

1. اللسانيات التداولية تُعد أداة فعّالة لتحليل الخطاب الأصولي من حيث البنية والمقصد والوظيفة.
2. الإمام الشافعي مارس خطاباً حجاجياً منضبطاً بالسياقات الشرعية، مع اتباعه لآليات إقناعية تداولية كالملاءمة والضمنية وحجج السلطة.
3. الخطاب الأصولي يُبدي انسجاماً مع مبادئ التداولية الحديثة، لكنه يظل مميزاً بإطاره المرجعي المرتبط بالوحي، ومقاصد الشريعة.
4. يُمكن توظيف الأدوات التداولية لتطوير قراءة جديدة للنصوص الأصولية تُثير جانبها الحوارية، وتكشف عن منهجيات الإقناع ضمنها.

### توصيات البحث:

- تشجيع الدراسات اللسانية في حقل العلوم الشرعية، لا سيما في تحليل النصوص التراثية.
- توسيع النموذج التحليلي ليشمل أئمة آخرين من علماء الأصول مثل الجويني والغزالي والرازي وغيرهم.
- بناء نماذج منهجية تربط بين اللسانيات التداولية والنظرية المقاصدية لفهم أعمق للخطاب الإسلامي.

## المصادر والمراجع:

1. مُجَدِّد بن إدريس الشافعي، الرسالة ( 1990 )، ( تحقيق أحمد شاکر )، القاهرة: مكتبة الحلبي.
2. بيرلمان وتيتيكا ، مصنف في الحجاج،
3. طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام،المركز القائي العربي، المغرب،1986.
4. أبوبكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، ط 1، 2006،
5. 1الحاج براهيم،التداولية الإسلامية حفريات في الفكر الأصولي في ضوء نظرية الأفعال الكلامية، فهرنهايت 451 للنشر والتوزيع، ط1، الجلفة،الجزائر.
6. قدور عمران، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، ط1، 2012،
7. مُجَدِّد عديل، الفكر اللساني التداولي قراءات في التراث والحداثة، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد الأردن، ط1، 2016.
8. عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة،بيروت لبنان، ط1، 2004.
9. مُجَدِّد مشبال، بلاغة الخطاب الديني، دار الأمان، الرباط المغرب، ط1، 2015،.
10. دريس مقبول، الأفق التداولي نظرية المعنى والسياق في الممارسة التراثية العربية، عالم الكتب الحديث إربد الأردن، ط1، 2011.

## الهوامش:

- <sup>1</sup> بيرلمان وتيتيكا ، المصنف في الحجاج، ص 5
- <sup>2</sup> طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، المغرب، 1986، ص 65.
- <sup>3</sup> أبوبكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، ط 1، 2006، ص 14 بتصرف
- <sup>4</sup> الحاج براهيم، التداولية الإسلامية حفرات في الفكر الأصولي في ضوء نظرية الأفعال الكلامية، فهرنهايت 451 للنشر والتوزيع، ط 1، الجلفة، الجزائر، ص 23.
- <sup>5</sup> قدور عمران، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، ط 1، 2012، ص 9.
- <sup>6</sup> إدريس مقبول، الأفق التداولي نظرية المعنى والسياق في الممارسة التراثية العربية، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، ط 1، 2011، ص 62.
- <sup>7</sup> مُجَّد عديل، الفكر اللساني التداولي قراءات في التراث والحداثة، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد الأردن، ط 1، 2016، ص 247.
- <sup>8</sup> عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت لبنان، ط 1، 2004، ص 445.
- <sup>9</sup> مُجَّد مشبال، بلاغة الخطاب الديني، دار الأمان، الرباط المغرب، ط 1، 2015، ص 131.
- <sup>10</sup> مُجَّد بن إدريس الشافعي، الرسالة ( 1990 )، ( تحقيق أحمد شاکر )، القاهرة: مكتبة الحلبي، ص 53
- <sup>11</sup> الشافعي، الرسالة، ص 72.
- <sup>12</sup> الشافعي، الرسالة، ص 80.
- <sup>13</sup> الشافعي، الرسالة، ص 109.
- <sup>14</sup> الشافعي، الرسالة، ص 46.
- <sup>15</sup> الشافعي، الرسالة، ص 597.
- <sup>16</sup> الشافعي، الرسالة، ص 513.
- <sup>17</sup> الشافعي، الرسالة، ص 212.